خليل الهندواي

رسالة سوف تصل !

مسرحيـــة بفصل واحـــد

المكان : كهف عميـــق

الشخصيـــات : خالد ، سلمان ، عادل (فدائيون)
صهيونـــي
جابر ـ ابن سلمـــان ـ
منصور ـ رئيس فرقة الانقاذ ـ

« رجال من الفدائيين ، فـــي كهف ، واسع ، مظلم، تضيئه شموع ، همهم مراقبة حركة العدو ، واعطاء معلومات عن تحركاته ، لمركز قيادة الفدائيين . . . يملكون آلة لاسلكية للاستقبال ، واخرى للبث . . »

خالد : الساعة السابعة ! هذا هو موعد اخبار قيادتنا !

سلمان : افتح ! لقد طال انتظارنا لهذه الساعة . .

خالد : اسمعوا ، اذا !

الاذاعة : « بلاغ ـ رقم (٥) ـ

اشتبكت مجموعة من الفدائيين ، عند الصباح ، في كمين نصبته، مع سرية للعدو . . دمرنا آليتين . . وقتلنا ثلاثة جنود وهنـــالك جرحى ، وانسحبنا بسلام باستثناء واحد منا اصيب بجـــراح طفيفة . . النصر لنا ! »

سلمان : يا للبشرى ! ما كان اكثر توفيقنا !

خالد : وانت ياعادل ، اخرج مستخفيا ، وارصد حركات العدو ! انه لا بد ان ينتقم لخسائره وضحاياه .

عادل : (بلهفة) هل تسمعون ؟ طائرات العدو تستكشف ساحة المعركة.

خالد : انهم يريدون ان يعرفوا الى اين انتهى الكمين ؟

سلمان : ولكنهم لن يجدوا الا قـــرى آمنة ، يصبون عليها النـــار والدمـــار . . (اصوات قذائف)

عادل : انهم بدأوا . . . ولكن ، ما هو الهدف الذي اختاروه ؟

خالد : هل وقعوا على الكمين ؟ قد تكون خسارتنا فادحة . .

سلمان : استكشف مواضع القذف بمنظارك . . ماذا ترى يا عادل ؟

عادل : (من خارج الكهف) ارى قوة من جند العدو على طريق فرعية ، ترافقها مصفحتـــان . .

خالد : لنخبر مركز القيـــادة .

سلمان : افعل يا خالـــد !

خالد : قوة من جند العدو تقدر بعشرين رجلا يرافقها مصفحتان علـــى الطريق الفرعي المتصل بغور الاردن..اكمنوا لها في ناحيةالطريق.

سلمان : بعد ساعة تأتينا الانباء . . !

خالد : ماذا ترى يا عـــادل ؟

عادل : ان رجال العدو ، غيروا اتجاههم .

سلمان : هل معنى ذلك ان الكمين لن يظفر بهم ؟

خالد : ولكن لماذا غيروا الاتجاه ؟ هل استكشفوا شيئا مابهم ؟

سلمان : ان رجالنا ليس من اليسير ان يقعوا في شباك العدو .

عادل : لم يبق وراءهم الا الغبار الذي تثيره المصفحتان . .

سلمان : افتح المذياع يا خالد !
ماذا تسمع ؟

خالد : صمت . . .

سلمان : لكنهم لـــم يتعودوا هذا الصمت !

عادل : لا بد ان وراء صمتهم نبأ خطيرا . .

خالد : اسمعوا ! بدأت الاشارة . .
انهم يتكلمـــون . .

صوت المذياع : اسمعوا ! اسمعوا !
ان العدو لم يسلك ذلك الطريق . . وقعنا نحن في الكمين . . نقد دافعنا عن انفسنا ، خسرنا قتيلين ، وسقط منا عدة جرحى . . اضطررنا الى الانسحاب من ساحة المعركة . . . انتبهوا ! انتبهوا الى حركاته بدقة . . ننتظر اشارتكم .

سلمان : عجيب ! هل توهمنا ؟ هل خدعنا ؟ لا . . لا يمكن .

خالد : ولكن ، لماذا غير العدو اتجاهه ؟ هل احس بالكمين ؟
هل سمع اشارتنـــا ؟

عادل : امر يثير الشك في نفسي !

سلمـان : هل تعتقدون بان عمله كان مصادفة ؟

خالد : اذا لم يكن مجرد مصادفة ، فماذا عسى ان يكون ؟

سلمان : ماذا ارى في أقصى الافق ؟ عجاج يثور .. هل هو صنع الرياح التـي اشتدت ؟ انظر يا عـادل !

عادل : يا الهي ! ان العجاج عجاج العدو الذي اتجه على طريق اخر ..

سلمان : كاني بهم يفتشون عن هدف يقصدونه ...

خالد : هل تعتقد باننا نحـن الهدف ...؟

عادل : انهم ابعد مـا يكونون عنـا ! ! ما اكثر اليهـود ! وما اقـل الفدائييـن !

سلمان : بل ما اكثر الفدائيين ، واقل اليهود ! انما يكثر الجند بقوة الايمـان ، وقوة الحـق ..

عادل : ولكـن في قلبي خوفا من مكرهم ..!

سلمان : اتصل بمركز القيادة ! وقل لهم يا خالد !

خالد : « كونوا مستعدين للقاء .. ننتظر اخباركم السارة »

عادل : ولكن الى متى سنبقى داخل هذه المغارة ؟

سلمان : وماذا تريد ان نفعل ؟

عادل : لماذا لا نلتف وراءهم ، ونلقي الذعر في قلوبهم ؟

سلمان : ان مهمتنا توجب علينا البقاء هنا .. اذا خرجنا اهلكنا انفسنا، وعرضنا رجالنا للفناء ..

عادل : الاحظ ان العدو ، يغدو ويروح ويعود الى ذات القطة .. كاني به يترصد هـذه المغارة ..

سلمان : دع عنك هذه الاوهام ! لا يعلم احد مكاننا الا الله ، وولـدي الصغير الذي الح علي بالبقاء معنا ، لينظر كيف يصنع الفدائيون.

خالد : الصغير .. وأين الصغير الان ؟

سلمان : اوصيته بان يعود الى القرية ، ليحمل الينا الزاد والماء ..

عادل : اخاف ان يعود ونحن على هذه الحال ..

سلمان : انه صغير .. لا يثير الاهتمام ..

خالد : ليته ، حين يشعر بالخطر يعود من حيث اتى !

سلمان : افتح المذيـاع !

خالد : (يفتحه) صمت .. يا الهي ! هل هنالك شـيء ؟ لا شـيء سوى الصمت .

سلمان : كرر ذلـك !

خالد : اللو ! اللـو !

مركز القيادة ... اين انتم ؟ نحن في الكهف ننتظر اخباركم ... ولكن ... لا جـواب ...

سلمان : هل اصابهم شـيء ؟

عادل : لا بد ان يكون وراء الصمت شيء خفي ..

سلمان : افتحوا اذاعة العدو ..!

اذاعة العدو : « فاجانا قرية حيث يتجمع المخربون ،وتولت فاذفاتنا تدمير البيوت ، والخنادق ..واقتحمت مصفحاتنا القرية ..تشتت المخربون ، وخسروا قتلى وجرحى »

سلمان : الهي ما هذا الذي نسمع ؟ هل يكذبون كعادتهم ؟هل يفترون؟ جرب ، يا خالد ، الاتصال بمركز قيادتنا ..

خالد : انهم يتكلمون :

اذاعة الفدائيين : « العدو يعلم بتحركاتنا وتجمعاتنا .. قد انقض بطائراته على مركـز قيادتنا .. ان واحدا منكم يخوننا ..فتشوا عـن الخائـن ! »

سلمان : ماذا اسمع ؟ واحد منا يخون .. هل يخون عادل ؟ هل يخـون خالد ؟ هل اخون انا ؟ مالكم واجمين ! ! ! الخيانة تقع هنا .. من هو الخائن هـا .. أنت ، أنت يا خالد ، ماذا كنت تذيع؟

خالد : والله ، لم اذع الا ما كنتم تشهدون عليه ..

سلمان : اعترف ! اعترف ! ان بين يديك أسرارنا !

خالد : (طقطقة آلة) اسمعوا ! ! ! داخل الكهف ! طقطقات شعرة غريبة! (يصغـون)

سلمان : حقا ! هيا .. اشهروا السلاح ! ان عدونا بيننا .. ابـداوا من هـذا الجانب !

خالد : من هذا الجانب مصدرها ..

سلمان : تقـدم بحذر !

خالد : من هناك ؟ ارفع يديك !

سلمان : لا تتركـه يتحرك ...

خالد : الى اين تتهزم! سلم نفسك !

(يتبعه بطلقة نار)

اليهودي : آه ! اصبتني !

خالد : قف ولا تتحرك !

اليهودي : انا مستسلم اليـك ..

سلمان : أهذا انت الذي كنت تنقل اخبارنا وتحركاتنا الى قومك ؟

اليهودي : هو ذا أنـا ..

سلمان : متى كان عهدك بنـا ؟

اليهودي : كنت أترصد الكهف ، واراقب كل حركة حوله .. حتى جاءني الامر باتخاذه موضعا للمراقبة .. وقد قمت بواجبي خير قيام .

سلمان : قمت بواجبك خير قيام .. ونحن ، الم نقم بواجبنا خير قيام؟

اليهودي : الامور مرهونة بنتائجها ..

سلمان : ستعلم النتيجة سريعا !

اليهودي (ضاحكا) بل علمت انا النتيجة بصورة اسرع ..

سلمان : كيف ؟ ماذا تعني ؟

(القذائف والطلقات تتوالى على باب الكهف)

خالد : يا الهي ! انهم يعلمون مكاننا .. لنخرج قبل ان يسدوا علينـا باب الكهف ! (قذيفة تسقط على فوهة المغارة وتسدها) آه ! تأخرنا .. لقد قضي الامر .. دخلنا قبرنا ونحن احياء .

عادل : مـاذا تقول ؟

سلمان : اتصل بجماعتنا يا خالد ، واخبرهم بما اصابنا ! لعلهـم ينقذوننـا ..

خالد : (يجرب الضرب على الآلـة) ولكـن الالة لا تستجيب .. لقد تعطلت ، واصبحنا مقطوعين في جوف هذا الكهف ..

سلمان : وماذا يعنـي ذلـك ؟

خالد : ان ننتظر ساعة الموت ...

عادل : لا .. لا يمكن .. سأتلمس منفذا لنا !

سلمان : جرب يا عادل ! حيث يكون منفذ للنور ، يكون سبيل النجاة ..

عادل : ولكن .. لا ارى منفذا ولا كوة .. هل نموت هنا وحدنا ؟

سلمان : لا شك ان مع اليهودي آلة تستطيع الاتصال بها ..أين آلتك؟

اليهودي : (بضحكة هستيرية) آلتي .. لا فائدة منها ابدا .. لقـد حطمتها بيدي ،حين اكتشفتم امري .

سلمان : وأيـن هـي ؟

اليهودي : ها هي محطمـة ..

سلمان : وماذا دفعك الى ذلك ؟

اليهودي : حين آمنت باني هالك ، سمعت الهاتف القديم يهيب بي « علي وعلى اعدائي يا رب » !

سلمان : هذا هو منطقكم الاثيم يوم لوثتم الارض بأدناسكم .. ولكن جماعتنا لا بد ان تأتي لاستنقاذنا .. لن تكون على الموت اجرأ منا ..

اليهودي : هيهات ! لقد فات الآوان !

سلمان : لماذا ؟

اليهودي : ان ساعة موتنا اقرب من الساعة التي سيظهرون فيها !

سلمان : ماذا تعني ؟

اليهودي : في الكهف قنبلة موقوتة !

عادل : ويحك ! ! ! اين هي يا مجرم ؟

اليهودي : ستسمعونها حين تنفجر .

خالد : (يأخذ بخناقه) قل أين هي ! قبل ان اخنقك ..

اليهودي : تخنقني ! ولماذا تتركني حيا ؟.. هيا ! اضغط على عنقي ! !

سلمان : دعه يا خالد ! ! لن نخنقك .. ان مصيرنا هنا واحد ..

اليهودي : هو الموت ..

سلمان : ولماذا لا يكون الحياة ؟

اليهودي : واية حياة تنتظرني ؟ تنجون انتم واموت انا ..! !

سلمان : (بهدوء) اسمع ! اسمع ! لقد فهمت .. نحن الان كائنات تنتظر قدرها الاخير .. الموت اذا كابرنا .. والحياة اذا اردنا !

اليهودي : حديث معقول ..

سلمان : هل تريد الحياة ؟ أليس لك رغبة في الحياة ؟ انك لا تزال فتى له آمال كبيرة في الحياة .. اليس لك أم تنتظرك ؟ أليس لك زوجة واطفال ، تود العودة اليهم حيا ؟

اليهودي : ان املي بالعودة اليهم مستحيل ..

سلمان : ولماذا ؟ اننا نعطيك عهدا بسلامتك اذا أبطلت فعل هذه القنبلة ..

اليهودي : ها .. ها هل تجدونني مغفلا بهذه الدرجة ؟

سلمان : هل تريد الموت ؟

اليهودي : معكم ، لا قيمة عندي للحياة ،ولا للموت .. واحد منا يموت مقابل ثلاثة منكم ..

سلمان : لن نتركك تموت بأيدينا .. يجب ان تتحمل آلام ما قبل الموت .. ماذا نعمل يا خالد ؟

خالد : اكتب وصيتي لامي قبل ان تذوب الشمعة ..

سلمان : ماذا تقول لها ؟

خالد : أنشئي اخوتي الصغار على ان يتبعوا طريقي ..

سلمان : وانت يا عادل ...

عادل : (مجهشا بالبكاء) أنا ... ؟

سلمان : لماذا تبكي أومن تبكي ؟

عادل : لا ابكي على احد ، لانني ليس خلفي احد .. وانما ابكي لانني سأموت قبل ان اكمل واجبي ،الموت في الظلام هو الظلام عينه ..

سلمان : وانا ماذا اقول ؟ سيأتي غدا ، ولدي الصغير ، ليشهد في الكهف .. ولكنه سينمو مثلنا في الكهف .. حتى يبزغ فجر الخلاص ..

اليهودي : حقا ... ما شعرت بمثل هذه الانسانية التي اراها الان .. هل أنتم على هذه الانسانية ؟ أنا لا اصدق ما سمعت اذناي .

سلمان : بماذا كنت تحلم ان ترانا ؟

اليهودي : لقد صوروكم وحوشا برابرة ، تأكل لحم الانسان وتمتص دم الانسان ...

سلمان : هذا كذب وافتراء .. اننا لا نريد القتل ولا الاعتداء .

اليهودي : ولكنكم تريدون افناءنا ! لقد سمعنا اذاعاتكم تردد ذلك ..

سلمان : (ضاحكا) ان الغضب قد يخرج المرء عن عقله حينا .

خالد : اولم ينته الحوار بينكما ؟ اسأله عن موضع القنبلة قبل ان تنفجر

سلمان : ما هو عملك في أيام السلم ؟

اليهودي : انني استاذ تاريخ في الجامعة العبرية ..

سلمان : ها .. حا .. واي عصر من العصور تدرس ؟

اليهودي : تاريخ الامم السامية في الشرق الاوسط ..

سلمان : حسن .. كيف كانت علاقة العرب باليهود ؟

اليهودي : في الجامعة كنت أكذب .. واما هنا فيجب ان اعترف بالحقيقة « لقد كنتم اكرم الشعوب لنا .. »

سلمان : من حماكم ؟ من اعطاكم السلام على هذه الارض ؟ من انصفكم يوم كانت الشعوب تحتقركم ؟ ماذا كنتم في الربوع الاندلسية ؟ اننا نريد الحياة للكل بسلام ..

اليهودي : ولماذا تضنون علينا اليوم بهذا السلام ؟

سلمان : نريده سلاما مقرونا بالحق والعدل .

اليهودي : هذا كلام حق يفرضه العقل والواقع ! ولكن هل يفكر شعبك هذا التفكير ؟

سلمان : لم يسبق لشعبي ان فكر الا بهذا التفكير .

اليهودي : ولكن .. ماذا تكون نهايتي معكم ؟

سلمان : تنجو معنا ، او نموت معا ! اننا نعدك بالنجاة اذا ابطلت فعل القنبلة .

اليهودي : انني مؤمن بوعدك .. ولكن قومي لن يتركوني أنجو ..

سلمان : اذا قتلك قومك ، فما هو ذنبنا ؟ لك علينا موثق بالا ينالك احد منا بمكروه !

اليهودي : هل تملك رجالك الا يقضوا علي ؟

سلمان : ان ذمتي ذمتهم ، وعهدهم هو عهدي ..

خالد : هل تسمعون ؟ ان نقر المعاول يتوالى على جوانب المغارة !

عادل : وافرحتاه ! انهم قادرون على استنقاذنا .

اليهودي : (ضاحكا) بل هؤلاء هم رجالنا ..! ولكن سيفوت الاوان قبل ان يصلوا . .

عادل : بل هم رجالنا !

اليهودي : الامر سواء .. ان كانوا رجالكم ، او رجالنا .. سيضمنا الموت جميعا ، من في داخل المغارة ، ومن في خارجها .

سلمان : دائما .. لا تفكرون الا في منطق القتل .. انني اعدك بالحياة، وانت تنذرني بالموت .

خالد : النقر يشتد .. كأنه بات قريبا منا ! بل احس به فوق رؤوسنا.

اليهودي : ان عقارب الساعة تدنو من النهاية ..

سلمان : وماذا يفيدك ان نموت معا ؟

اليهودي : في الحق،انني اشعر بأن الموت ينتظرني .. لقد سئمت حياتي .. سئمت الخوف ، والاضطراب والقلق في مجتمعنا الزائف .

سلمان : أليس لك اهل تحن الى لقائهم ؟

اليهودي : انني اشعر بانهم الان ينتظرون عودتي على المائدة وزوجتي الشابة ، وثلاثة اطفال صغار ...

سلمان : أليس هذا الشعور بكاف لان يجعلك تتشبث بالحياة ؟

اليهودي : الحياة لم تعد ملك يدي .

— التتمة على الصفحة ٦٤ —